الْأَفْعَالُ الْبَصَرِيَّةُ فِي شِعْرِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ
"دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ دَلَالِيَّةٌ"

د٠ عبير سالم عبد الله البالول (*)

الملخص

تتناول هذه الدراسة الأفعال البصرية بألفاظها المختلفة في شعر بشار بن برد من حيث تراكيبها النحوية وما توحى به من معان دلالية، فعلى الرغم من أن شاعرنا– بشار بن برد– ضرير؛ فقد فاق المبصرين في دقة التصوير والتصور، وقد وردت في شعره أفعال دالة على الرؤية البصرية بألفاظها المختلفة وألوانها المتنوعة تركيبًا ودلالة في نصوص متنوعةً من شعره. ومن ثم وسمت هذه الدراسة بعنوان " الأفعال البصرية في شعر بشار بن برد دراسة نحوية دلالية "؛ نظرًا لأن بشار بن برد يعد من أكثر الشعراء الذين اعتمدوا على الوصف في مواضع كثيرة ولأغراض مختلفة، لكنّ هذه الدراسة تركز على الوصف الذي سُبق بفعل من أفعال الرؤية في شعره.

وقد انتهجت هذه الدراسة المنهج الوصفي الإحصائي التحليلي، واقتضت طبيعة الموضوع أن تكون في مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة. المحور الأول: تناول بشار بن برد حياته وأقوال العلماء فيه، والمحور الثاني تناول الأفعال البصرية في الجملة المثبتة، المحور الثالث: الأفعال البصرية فى الجملة المنفية، ويعرض تركيب جملة الفعل التي تحقق للشاعر صوراً للأفعال البصرية تتوافق وفقده لبصره.

الكلمات المفتاحية: بشار بن برد، الأفعال، البصر، النحو ، الدلالة . الشعر.

(*) أستاذ مساعد النحو والصرف بقسم اللغة العربية وآدابها– كلية الآداب – جامعة الكويت.

Visual Verbs in Bashar Bin Burds' Poetry "A Semantic and Syntactic Study"

:Abstract

This study deals with the visual verbs in their different expressions in the poetry of Bashar bin Burd, In terms of its grammatical structures and its semantic meanings, Although our poet-Bashar bin Burd-is blind, He surpassed the sighted in the accuracy of imaging and visualization, and verbs indicating visual vision were mentioned in his poetry with their different expressions and their various types in structure and significance in various texts of his poetry. Hence, this stuy was titled "Visual Verbs in Bashar Bin Burd's Poetry, a Semantic Grammatical Study" because Bashar bin Burd is one of the most poets who relied on different purposes, but this is a study that focuses on the description that was preceded by an act of vision in his poetry.

This study adopted the descriptive, statistical and analytical approach, and the nature of the topic required it to be an introduction, three aims, and a conclusion. The first aim : Bashar bin Burd dealt with his life and the sayings of scholars about him,and the second aim dealt with the affirmative sentence of visual verbs, the third aim: the negative sentence of visual verbs, and presents the composition of the verb sentence that achieves for the poet images of visual verbs that correspond to his loss of sight.

Keywords: Bashar bin Burd, Verbs, Sight, Grammar, Semantics, The Poetry.

د٠ عبير سالم عبد الله البالول

الْأَفْعَالُ الْبَصَرِيَّةُ فِي شِعْرِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ
"دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ دَلَالِيَّةٌ"

إنّ هذه الدراسة تتناول الأفعال الدالة على الرؤية البصرية بألفاظها المختلفة في شعر بشار بن برد من حيث تراكيبها النحوية وما توحى به من معان دلالية، فعلى الرغم من أن شاعرنا– بشار بن برد– ضرير؛ فقد فاق المبصرين في دقة التصوير والتصور، وقد وردت في شعره الأفعال الدالة على الرؤية البصرية بألفاظها المختلفة وألوانها المتنوعة تركيبًا ودلالة في نصوص متنوعةً –والتي قد تمثل ملمحاً أسلوبيًّا تَميّز به بشار بن برد –حيث اشتملت على الأفعال: (رأى– أبصر–نظر) ووردت بدلالات مختلفة أبرزها الرؤية البصرية والرؤية القلبية وخرجت إلى دلالات أخرى وإن كانت أقل انتشاراً من سابقيها. يأتي الفعل (رأى) في مقدمة هذه الأفعال، وهو فعل دارت حوله الكثير من القضايا النحوية نظراً لاختلاف الإعراب تبعاً للمعنى، فإن كان للرؤية البصرية نصب مفعولاً واحداً، وإن كان للرؤية القلبية نصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، من الألفاظ البصرية الدالة على اليقين الألفاظ : (علم – وجد – ألفى – درى–تعلّم)، أما الفعلان(نظر وأبصر) فينصبان مفعولاً واحداً، فتَغَيّر المعنى لا يترتب عليه تغير الإعراب من معاني (نظر) بالإضافة إلى الرؤية البصرية وجّه بصره[١] ﴿وإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾[٢] وهي تختلف عن الرؤية نفسها وهذا ما يظهر في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[٣]، والنظر: حسّ

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ١١٠٦/٢.

(٢) سورة التوبة ٢٧.

(٣) سورة الأعراف ١٤٣.

العين، وتقول نظرتُ إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب[١]. من معاني (بصر) حسّ العين، أبصرتُ الشيء: رأيته، وبصرتُ بالشيء: علمته[٢]، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾[٣] بمعنى أدرك الحق[٤].

أهمية الدراسة :

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تتناول نصوص شاعر حظي بمكانة لغوية فريدة وأسلوب تركيبى دلالى متميز منذ بزغ نجمه في العصر العباسي، مما يشير إلى ثراء هذه النصوص التي مكّنته ليتبوّأ هذه المنزلة المرموقة ويكون علماً بين شعراء عصره، وأن لكل شاعر مجيد صفة قلما يدركه فيها شاعر غيره _وإن اشترك مع غيره فى بعض الصفات_ فأفعال الرؤية قد تميط اللثام عن أثر بيّن تضافر مع عوامل أخرى ليضفي على أبياته تفرداً لغويًّا.

وقد تردد فعل الرؤية بألفاظه المختلفة ومعانيه ٣٠٠ مرة، وتصل النصوص الشعرية التي نسبت لبشار بن برد إلى ٢٢٠ نصًّا ويكاد لم يخلُ نص من فعل من أفعال الرؤية. وتأتي أهمية الدراسة من تركيزها على فعل الرؤية في نصوص شاعر فاقد للبصر؛ لذا هي محاولة للوقوف على الوسائل التي وظّفها الشاعر أو ابتدعها في جمله لتتناسب وحالته، فقد فاق معاصريه وتقدّم عليهم؛ لذا فالوقوف على البصرية في جمل المثبتة والمنفية وقفة مستحقة لجمعه بين ضدين قلما اجتمعا؛ وهما فقد البصر وإجادة الوصف، الذي يعتمد بشكل أساسي على البصر؛

(١) لسان العرب، ابن منظور ٤٤٦٥/٦.
(٢) لسان العرب، ابن منظور ٢٩٠/١.
(٣) سورة الأنعام ١٠٤.
(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم ١٣٦/١.

فهو وسيلته الأولى، كما قال الجاحظ : "إنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"(١).

هذا وقد أكثر بشار بن برد من الوصف في مواضع كثيرة ولأغراض مختلفة، إلا أن هذه الدراسة تركز على الوصف المسبوق بفعل من أفعال الرؤية البصرية.

الدراسات السابقة ذات الصلة بالدراسة:

ثمت دراسات دارت حول شعر بشار بن برد، منها ما أفردتْ لبشار، ومنها ما ضمته لنخبة من الشعراء في معرض الحديث عن العصر العباسي كونه يتصدّر شعراء ذاك العصر(وهذه كثيرة) منها: عن الشعراء العباسيين وشخصية بشار للدكتور محمد النويهي، وبشار بن برد للمازني، الصورة في شعر بشار بن برد عبدالفتاح صالح الناجي، و بشار بن برد وفاتحة العصر العباسي عمر فروخ، ومنها ما ضمّتْه تحت مسمى أدب العميان مثل: شعر المكفوفين في العصر العباسي للدكتور عدنان عبيد العلي، والصورة البصرية لشعر العميان للدكتور عبدالله الفيفي. كان تركيز هذه الدراسات وغيرها على الجوانب الفنية للصورة الشعرية عند بشار بن برد، مثل:

الصورة البصرية وتداخلاتها في شعر الأكمه بشار بن برد –تطبيقات أسلوبية، بحث إعداد: أ م د. يوسف طارق السامرائي، كلية الإمام الأعظم الجامعة، المجلد ١٠، العدد ٣٨، السنة العاشرة، تشرين الأول، ٢٠١٤م، والإعاقة البصرية وتفجر القريحة الشعرية، إعداد : عائشة صلاح سليمان الفيومي، مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية للبنات بالإسكندرية، العدد ٣٨، الإصدار ٢، وتوظيف الحواس في غزليات بشار بن برد إعداد نجلاء عبد الحسين عليوي، مجلة آداب الفراهيدي، العدد: ٣٥، أيلول ٢٠١٨م.

---

(١) الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٣٢/٣.

سيمياء اللون في شعر بشار بن برد، إعداد: سعيد هادي سعد القحطاني، مؤتمر العلوم الإنسانية والتنمية المستدامة واستشراف المستقبل، كلية الآداب جامعة دمنهور٢٠١٩م، عدد ٥٤ يناير ٢٠٢٠م، وشعرية الألوان عند بشار بن برد، إعداد بختة عزوزي، جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، مجلة مهد اللغات ، المجلد ٣ ، العدد: ٣، سبتمبر ٢٠٢١، والصورة الشعرية البصرية عند بشار بن برد، رسالة ماجستير، إعداد: علي باشا إيمان، كلية الآداب واللغات، جامعة ابن خلدون، تيارت – الجزائر، ٢٠٢٢.

ومن ثمَّ لم أجد دراسة ركّزت على المعالجة النحوية للأفعال البصرية؛ لذا يعد هذا البحث رؤية متميزة وملاحظة تحتاج إلى دراسة مستقلة لمعالجة الأفعال البصرية دراسة نحوية دلالية عند بشار بن برد.

منهج الدراسة وخطتها:

وقد انتهجت هذه الدراسة المنهج الوصفي الإحصائي التحليلي، واقتضت طبيعة الموضوع أن يكون في مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة. المحور الأول: تناول بشار بن برد حياته وأقوال العلماء فيه، والمحور الثاني تناول الأفعال البصرية في الجملة المثبتة، المحور الثالث: الأفعال البصرية في الجملة المنفية، ويعرض تركيب جملة الفعل التي تحقق للشاعر صوراً للأفعال البصرية تتوافق وفقده لبصره. وكان الاعتماد على ديوان الشاعر بشار بن برد تحقيق: محمد الطاهر ابن عاشور.

المحور الأول: بشار بن برد حياته وأقوال العلماء فيه.

هو بشار بن برد بن يرجوخ، جده من طُخارستان ممن سباهم المهلب بن أبي صفرة والي خراسان (٧٩-٨١هـ) فارسي الأب رومي الأم. من الشعراء المخضرمين الذين عاصروا الدولتين الأموية والعباسية، ولد بالبصرة لأوائل العقد العاشر من القرن الأول للهجرة(١). يجعله بعض الرواة خاتمة الشعراء القدماء وبداية المحدثين، كما يجعلونه آخر من يحتجّ بشعرهم من الشعراء في الشعر العباسي(٢).

سطع نجمه في العصر العباسي وهو عصر تميّز بثراء أدبي وعلمي وفنيّ، بل وُصف بأنه أزهى عصور العربية، فلم يكن لأديب أو شاعر موطئ قدم إنْ لم يكن ذا موهبة متفردة، وهذا ما اتُّصف به بشار بن برد، سئل الأصمعي عن بشار ومروان أيهما أشعر؟ فقال: بشار؛ فسئل عن السبب في ذلك، فقال: لأن مروان سلك طريقاً كثر من يسلكه فلم يلحق من تقدمه، وشركه فيه من كان في عصره، وبشار سلك طريقاً لم يُسلك وأحسن فيه وتفرد به، وهو أكثر تصرفاً وفنون شعر وأغزر وأوسع بديعا، ومروان لم يتجاوز مذاهب الأوائل(٣).

لم يكن كفّ البصر عائقاً بالنسبة لبشار بن برد بل تفوق على غيره بدقة التصوير وروعة التعبير، واتسم أسلوبه بالجرأة، وركب موجة المجون والتهتك التي علت في ذلك العصر فاتهم بالزندقة(٤)، ودارت حوله الأقاويل واختلفت فيه الآراء

(١) تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف ص٢٠١.
(٢) نحو منهج جديد، د. يوسف خليف، ص٣٣.
(٣) الأغاني، الأصفهاني ٩٩٣/٣ تحقيق: إبراهيم الإبياري.
(٤) الزنديق القائل: ببقاء الدهر، فارسيّ معرّب "زندكر".لسان العرب، ابن منظور ١٨٧١/٢.الزندقة: "اسم اشتقه العرب من كلمة "زندو" بالفارسية الدالة على كتاب الفرس المقدس الذي يقال له بالفارسية "الزندو فستا" وهو كتاب ماني الذي يُدعى أتباعه المانوية، ويقال لهم الثنوية. ديوان بشار بن برد، محمد الطاهر ابن عاشور ١٨/١.

بين مادح وقادح، إلا أنها اتفقت على شاعريته وتميزه، يصفه الجاحظ بقوله: "والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي"(١). ، ويؤكد في موضع آخر: "لم يكن في المولدين أصوب بديعاً من بشار"(٢). فما طاله من قدح تركز حول سلوكه الذي خالف الأعراف والقيم في تلك الفترة وهو ماظهر جليًّا في غزله الحسّي، وهجائه المقذع. وقد أجاد بشار بن برد في أغراض الشعر المختلفة وقليل من يحسنون ذلك، يصفه ابن رشيق بقوله: "يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر، من جِدٍّ وهزل، وحلو وجذل، وأن لايكون في النسيب أبرع منه في الرثاء، ولا في المديح أنفذَ منه في الهجاء، ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار، ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه صوتاً في سائرها، فإنه متى كان كذلك حُكم له بالتقدم، وحاز قصب السبق، كما حازها بشار بن برد، وأبو نواس بعده" (٣).

وُلد ضريرا وهو ما يؤكده بقوله:

لقد ولدت أم الأكيمه أعرجا * وآخر مقطوع القفا ناقص العضُد**

الأكيمه: تصغير أكمه وهو الذي ولد أعمى(٤):

وهذا البيت يدل على أن بشار بن برد لم ينعم بنعمة البصر منذ ولادته، فليست له ذاكرة تحتفظ بصور كي يعبّر عنها بهذا الإبداع مما يثير تساؤلاً من جنس ما ذكرته (فطمة)_ممن تغزّل بهن_بقولها على لسان بشار:

عجبت فطمةُ من نعتي لها * هل يجيد النعتَ مكفوف البصر؟**(٥)

(١) البيان والتبيين، الجاحظ ١/٥٠.
(٢) البيان والتبيين، الجاحظ ١/٥١.
(٣) العمدة، ابن رشيق القيرواني ٢/٧٥٣.
(٤) البيان والتبيين، الجاحظ ١/٣٠.
(٥) ديوان بشار بن برد ٤/٦٨.

ورغم أن هذه العاهة قد انعكست سلباً على سلوكه إلا أن بشارًا نسب إليها حدّة ذكائه ونبوغه وتميّزه عن الآخرين، فقال:

إذا وُلد المولود أعمى وجدته * وجَدِّكَ أهدى من بصير وأحولا**

عميتُ جنيناً والذكاء من العمى * فجئت عجيب الظن للعلم معقلا**

وغاض ضياء العين للقلب واغتدى * بقلبٍ إذا ما ضيّع الناس حصلا**(١)

ويقول في موضع آخر:

وعيّرني الأعداء والعيب فيهم * وليس بعارٍ أن يقال ضريرُ**

إذا أبصر المرء المروءة والتقى * فإن عمى العينين ليس يضير**

رأيتُ العمى أجراً وذُخراً وعِصمةً ** وإني إلى تلك الثلاث فقير (٢)

ووجد أن العمى لا يقلل من قدرته على التمييز، ذلك لأنه عُوّض بحواس أخرى تقوم مقام العين المبصرة:

يزهدني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي**

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو** اللب

وما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الأذنان إلا من** القلب(٣)

ومن أشهر ما قال وقد ذهب مثلا :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة * والأذن تعشق قبل العين أحيانا**(٤)

تتنوع الصيغ اللغوية في الأسلوب الخبري للتعبير عن المعنى ولكنها لا تتجاوز أسلوبي الإثبات والنفي، ويستعين مستخدم اللغة بأحد الأسلوبين أو يزاوج بينهما بما يراه مناسبا للمقام والسياق. وهذان الأسلوبان اعتمد عليهما بشار بن برد في

(١) ديوان بشار بن برد ١٣٦/٤.

(٢) ديوان بشار بن برد ٥١/٤.

(٣) ديوان بشار بن برد ١٢/٤.

(٤) ديوان بشار بن برد ١٩٤/٤.

جملة فعل الرؤية البصرية في نصوصه الشعرية، ورغم تنوع المناهج لعرض مادة الدراسة فإنني ارتأيت أن يكون تناولها بناء على الجمل المثبتة والمنفية لإدراج كل الجمل لفعل الرؤية وتحاشياً للتكرار.

المحور الثاني: الأفعال البصرية في الجملة المثبتة .

الإثبات: هو الحكم بثبوت شيء لآخر، ويطلق على الإيجاد" [١].

يعرف الإثبات في الاصطلاح النحوي: "ضد النفي والسلب، وهو حالة تلحق الجمل والمعاني التامة وكل ما يلحقه يسمى مثبتا، أي غير منفي، أو أنه الحكم بثبوت شيء آخر[٢].

يُقصد بالإثبات أن الشاعر ينص على أنه (رأى) أي أبصر فعلياً وهذا لم يحدث حقيقةً، يقول سيبويه: "وإن قلت رأيته، فأردت رؤية العين، أو وجدت، فأردت وجدان الضالة، فهو بمنزلة (ضربت)، ولكنما إنما تريد بوجدت (علمت)، وبرأيت ذلك أيضاً. ألا ترى أنه يجوز للأعمى أن يقول: رأيت زيداً صالحاً" [٣].

فالأعمى حين يقول (رأيت) يقصد علمت ولا يتوقع أن يكون قاصداً رؤية العين. وهذا أمر طبيعي كونه فاقداً للبصر، لذا لجأ بشار بن برد لبعض الوسائل التي تعطي مجالاً لإنكار هذه الرؤية أو جعلها ضبابية غامضة، وإنْ أورد –على قلة–بعض أفعال الرؤية البصرية مثبتة دون أن يظهر في جملتها ما ينفي هذه الرؤية.

---

(١) الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، ص٣٩.

(٢) معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، ص٣٦.

(٣) الكتاب، سيبويه ٤٠/١.

من الوسائل التي وظّفها بشار بن برد في الجملة المثبتة ما أدخله على الفعل، ومنها ما خصّ به الفاعل، وما خصّ به المفعول به، وهي:

أولاً: دخول "قد" على الفعل:

"قد" لفظ مشترك؛ يكون اسماً وحرفاً، "قد" الاسمية ليست مدار حديثنا، وأما "قد" الحرفية "فحرف مختصّ بالفعل، وتدخل على الماضي، بشرط أن يكون متصرفاً، وعلى المضارع، بشرط تجرّده من جازم وناصب وحرف تنفيس. حرف لا يفصل بينها وبين الفعل بغيره " [١]. هو جوابٌ لقوله أفعل، كما كانت ما فعل جواباً لهل فعل؟ إذا أخبرتَ أنه لم يقع. ولما يفعل وقد فعل، إنما هما لقوم ينتظرون شيئاً. فمن ثمّ أشبهت قد لمّا، في أنها لا يفصل بينها وبين الفعل"[٢]، أما الزمخشري فيجيز الفصل بينه وبين الفعل بالقسم، كقولك: "قد، والله أحسنت"، و"قد، لعمري بتّ ساهراً"[٣].

استعان بشار بن برد بالحرف (قد) في الجملة المثبتة لفعل الرؤية البصرية، واختلف علماء اللغة في معنى (قد) وأثر دخولها على الفعل الماضي والمضارع وإن اتفقوا على أن لها عدة معانٍ يمكن تغليب أحدها على الآخر من خلال السياق الذي ترد فيه، وكان أكثر دخولها في شعر بشار بن برد على مضارع فعل الرؤية ونادراً على ماضيه، من دخولها على المضارع قوله:

لا يراني وقد أرى * وجهه غير أبلج**[٤]

(١) الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي ص٢٥٣، الكتاب، سيبويه ٢٢٣/٤.

(٢) الكتاب، سيبويه ١١٤/٣-٢٢٣/٤.

(٣) المفصل، الزمخشري، ص ٤١٠، مغني اللبيب، ابن هشام ١٧١/١ .

(٤) ديوان بشار بن برد ٧٤/٢.

فالشاعر ينص على رؤيته (لوجه ابن سلمان) في البيت الذي سبقه، وهو أحد ندمائه حين سقط في تلك الليلة من السكر

وابن سلمان ساقطٌ * كالحِمارِ المُوَدَّجِ**

تشبيهه لابن سلمان بالحمار المؤدّج يُعدّ من الرؤية البصرية، إلا أنّه ربما اعتمد على صوت السقوط أو بلمس جسده، أما حينما نصّ على (أرى) فقد سُبقت بـ(قد)، ولو استعرضنا معاني (قد) التي نصّ عليها النحاة وهي:

(١) التوقع، وتكون حرف توقع تارة وهو الكثير فيها كقولك: قد يقوم زيد، في تقدير جواب من قال: هل يقوم زيد أو لا يقوم، فإذا قلت في تقدير الجواب: قد يقوم، أدخلت الاحتمال وتوقعّت الوجود، وإن نفيت فقلت: قد لا يقوم، توقعت العدم[١]. منهم من خصّ هذا المعنى بالمضارع دون الماضي ومنهم من أثبته للماضي أيضاً.

(٢) التكثير، قاله سيبويه: وتكون قد بمنزلة ربّما. وقال الشاعر الهذلي: [٢]

قدْ أَتْرُكُ القَرْنَ مُصْفَرًّا أَنامِلُه * كأن أثْوابَهُ مُجّتْ بفِرصادِ

وقال الزمخشري في ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ [٣]: أي ربما نرى، ومعناه تكثير الرؤية [٤]، ثم استشهد بالبيت:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني * جرداء معروقة اللحيين سرحوب**

(٣) التحقيق، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[٥]، وقد مضى أن بعضهم حمل عليه قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾[٦]، قال الزمخشري: دخلت لتوكيد العلم،

(١) رصف المباني في شرح حروف المعاني، للإمام أحمد عبدالنور المالقي، ص٣٩٢.
(٢) الكتاب، سيبويه ٢٢٤/٤.
(٣) سورة البقرة ١٤٤.
(٤) مغني اللبيب، ابن هشام ١٧٤/١.
(٥) سورة الشمس/٩.
(٦) سورة النور/٦٤.

ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد، وقال غيره في ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾[١] قد في الجملة الفعلية المجاب بها القسم مثل إنّ واللام في الجملة الاسمية المجاب بها في إفادة التوكيد.[٢]

(٤) النفي: في اللسان نقلا عن ابن سيده: وتكون قد بمنزلة ما، فينفى بها، سمع بعض الفصحاء يقول قد كنت في خير فتعرفه، بنصب تعرف، قال في المغني: وهذا غريب. وإليه أشار في التسهيل بقوله: وربما نفى بقد فنصب الجواب بعدها[٣].

(٥) التقليل: يقول ابن هشام في المغني: التقليل، وهو ضربان: تقليل وقوع الفعل نحو: (قد يصدق الكذوب) و (قد يجود البخيل)، وتقليل متعلقه نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾[٤]؛ أي ما هم عليه هو أقل معلوماته سبحانه[٥]. ويبدو أنه المعنى الأقرب الذي اتّكأ عليه الشاعر حيثّ اشربت (قد) معنى(ربما) عند من يعُدّها للتقليل[٦]. واستفاد بشار من معنى التقليل كما في قوله:

كثر الحمير وقد أرى في صحبتي * منهن أقمر منعجا بالراكب**[٧]

في هذا البيت يهجو الشاعر بعض أصحابه ويشبههم بالحمير، ولم يكتفِ بصفات الحمار في ذهن المتلقي بل يضيف لذلك تفصيلات متعلقة باللون (أقمر) وهو الأبيض بكدرة، وأنه (منعج) ومن معاني (ن ع ج) أسرع؛ أي مسرع،

(١) سورة البقرة /٦٥.

(٢) مغني اللبيب، ابن هشام ١/١٧٥.

(٣) مغني اللبيب، ابن هشام، ١/١٧٥.

(٤) سورة النور ٦٤.

(٥) مغني اللبيب١/٢٨٩.

(٦) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، ص ٤١٠.

(٧) الديوان ١/٣٧٤.

فالإسراع يمكن أن يحدده باعتماده على حاسة السمع أما اللون فربما يكون مما سمعه من غيره وتوارثه، وهذا كثير .ومنه أيضاً:

وأعرض عن مطاعم قد أراها * فأتركُها وفي بطني انطواء**(١)

هذا البيت وإن كان يحتمل الرؤية القلبية "المطاعم"، لكن عدم وجود مفعول به ثان وصعوبة التقدير مع ما أضافه الشاعر في الشطر الثاني بقوله: فأتركها وفي بطني انطواء ترجيح للرؤية البصرية.

ودخلت على ماضى الفعل مسبوقة باللام في قوله:

ولقد رأيت بها الخرا * ئد يتصلنَ إلى الخرائد**(٢)

الخرائد: الفتيات اللاتي يبدو عليهن الحياء، وقد جاء بشار بن برد بـ(قد) مسبوقة باللام وهي تفيد التوكيد وجاء هذا التوكيد في افتتاحيته أبيات يمدح فيها رَوْح بن حاتم فبدأها بـ:

يا دارُ أقوت بالأجالدْ * بعدَ المَسودِ بها وسائِد**

لا غَرْوَ إلا دَرسها * بينَ الأَمَقِّ إلى كُداكِدْ**

وهذا وقوف على الأطلال وتذكّر ما كان يحدث في تلك الديار وسير عدد من الفتيات اللاتي يبدو عليهن الحياء، وهذا ماضٍ تحقّق لذا جاء باللام للتوكيد وإنْ كانت الرؤية لم تقع حقيقة لكنّ الحدث وقع.

ثانياً: فاعل فعل الرؤية البصرية:

الفاعل: وهو الركن الثاني الذي تقوم عليه الجملة، تتشكّل صوره في اللغة وتتنوع بين اسم صريح ومصدر مؤول وضمير متصل وضمير مستتر، يختار المتكلم ما يناسب المقام في أداء المعنى حسب رؤيته وذوقه، بتتبع صور الفاعل

(١) الديوان ٧/٤.

(٢) الديوان ٢٤٣/٢.

لفعل الرؤية البصرية في نصوص بشار بن برد في الجملة المثبتة يلاحظ أن الشاعر مزج بين الفاعل ضمير متكلم للجماعة و ضمير المخاطب وضمير الغائب(١). والضمير من المعارف بل جاء في مقدمة المعارف، يقول ابن هشام في قطر الندى: "أما المعرفة فإنها تنقسم ستة أقسام؛ القسم الأول: الضمير، وهو أعرف الستة، وهو عبارة عما دلّ على متكلم كأنا، أو مخاطب كأنتَ، أو غائب كهو(٢). يقول ابن السراج: والمعرفة خمسة أشياء: الاسم المكنى"وهو الضمير، وهذا اصطلاح كوفي، والمبهم، والعلم، وما فيه الألف واللام، وما أضيف إليهن(٣). وقد وردت في نصوص بشار بن برد على الشكل الآتي:

أ- **الفاعل ضمير المتكلم للجماعة:**

ضمير المتكلم المنفصل في اللغة للمفرد (أنا) وللجماعة (نحن)، والضمائر المتصلة تاء الفاعل المضمومة للمفرد، والضمير(نا) للجماعة، والضمير المتكلم من أعرف الضمائر، "أخص الضمائر الأعرف، فضمير المتكلم أخصّ من ضمير المخاطب، وضمير المخاطب أخصّ من ضمير الغائب، وذلك لقلة الاشتراك" (٤). أَسند الشاعر فعل الرؤية البصرية لضمير المتكلم للجماعة وهذا كثير مقارنة بضمير المفرد، كما في قوله:

فلما رأينا الليل شب ظلامه * وشُبَّ بمصباحٍ لغير سُعودِ**

رَجَعْنا وفينا شيمةٌ أرْيَحِيَّةٌ * مِن العيشِ في وُدٍ لهُنَّ وَجُودِ** (٥)

---

(١) حين يسند فعل الرؤية البصرية لنفسه يُسبق غالباً بنفي أو بقد أو يسنده للعين.

(٢) شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام .

(٣) الأصول في النحو، ابن السراج، ص ١٤٩.

(٤) همع الهوامع ٢١٦/١.

(٥) الديوان ١٦١/٢.

وفي قوله:

لم نَنْبَسِط فيه إلى مُحْرِمٍ * حتى رَأَيْنا الصُبحَ وضّاحا**(١)

وأيضا في قوله:

باتَتْ عَروساً وبِتنا مُعْرِسِينَ بها * حتى رَأينا بَياضَ الصُّبحِ مُنجابا**(٢)

يلاحظ أن الشاعر قال: "بتنا معرسين" ثم قال: "حتى رأينا" فـ (نا) ليست للجماعة في (بتنا) لورود (معرسين بها) وتعني الدخول بها فالضمير يعود على الشاعر، وترتب عليها أنّ (نا) في (رأينا) ليست للجماعة بل للشاعر نفسه.

أيضاً من الأغراض الشائعة استبدال ضمير المتكلم للجماعة بضمير المتكلم للمفرد التعظيم والتفخيم ، ويبدو أن بشار بن برد ابتدع معنى جديداً يتوافق وحالته حيث جاء بضمير المتكلم للجماعة ليتنصّل من إسناد فعل الرؤية البصرية لنفسه، فلا يقصد التفخيم هنا لكنها وسيلة تعطيه مجالاً لتشتيت الانتباه عن حقيقة عدم قدرته على الرؤية من خلال المشاركة وكأنه اكتسب هذه الرؤية من الغير، وإن كان معظم ما ادعى أنه رآه متعلق بالنهار والليل وبالنور والظلام وهذه أوقات يمكن أن يعيَها من الحركة والهدوء.

ب– الفاعل ضمير المخاطب:

تأتي ضمائر المخاطب بعد المتكلم في قوة التعريف وتليها ضمائر الغائب، وقد استعان بشار بن برد للخطاب بالتاء والكاف للمضارع وبتاء الفاعل للماضي، كما في قوله:

تُريكَ في القَوْلِ جَشّاباً وإنْ ضَحِكتْ * أَرَتْكَ من ثَغْرِها المَثْلُوجِ جَشَّابَا**(٣)

---

(١) الديوان ١٥٣/٢.

(٢) الديوان ٢٠٨/١.

(٣) الديوان ٢٠٨/١.

الجشاب: صفة للندى، وهو الندى المتساقط كأنه المطر صباحاً، شبّه كلامها في الحسن والانسياب بقطر الندى.

يكون الخالُ في خدٍّ نقي * فيُكسِبُه المَلاحَةَ والجمالا**

ويُؤْنقه لأعينِ مبصريه * فكيف إذا رأيتَ اللونَ خالا**(١)

ومنه:

على الكلبِ أَهْوالٌ إذَا ما رَأَيْتَهُ * وخِنْزيرُ كَلبٍ بالمخَازي مُدرَّبُ**(٢)

وتُريكَ عَيني جُؤْذَرٍ خَرَقٍ * بالرّوضِ لم تُكْحلْ من الرّمَدِ**(٣)

الجؤذر: ولد بقرة الوحش.

فبدلا من أن يقول "رأيتُ" و"تريني" استعان بضمير المخاطب "تَ" و"كَ"، فالشاعر في الأبيات السابقة يخاطب نفسه ويذكر مواصفات المحبوبة من خلال عين المُخاطَب، ففي البنية العميقة للجملة المقصود الرؤية البصرية للشاعر(المتكلم) وفي البنية السطحية الرؤية البصرية للمخاطَب، وكأنّه بهذا التوظيف استعان فيما يعرف "بالالتفات" بصورة مغايرة لما هو معهود، حقيقة الالتفات مأخوذة من "التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يُقبِل بوجهة تارة كذا، وتارة كذا. وفي الكلام يُنتقَل فيه عن صيغة إلى صيغة، كانتقال من خطاب إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر(٤). فالشاعر استبدل ضمير المخاطب بالمتكلم ليتناسب مع المقام وإن لم يُظهر ضمير المتكلم في البنية السطحية لهذه الأبيات. يقول تمام حسّان: حين قال امرؤ القيس:

---

(١) الديوان ١٥٣/٤.

(٢) الديوان ٣٤٣/١.

(٣) الديوان ٢٦/٣.

(٤) "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير.

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل**

جرّد من نفسه مخاطبين لا مخاطباً واحداً، ولم يكن لهذين المخاطبين حقيقة واقعة وذلك عكس ما يقول به نظام اللغة من حضور المخاطَب أثناء الخطاب"[١]، وهذا ما استعان به بشار بن برد في أبيات كثيرة منها:

حوراء في مقلتيها حين تبصرها * سحرٌ من الحسن لا من سحرِ سحّارِ[٢]**

تُريكَ أَسيلَ الخدِّ أَشرقَ لَونُهُ * كشمسِ الضُحى وافَتْ مع الطّلْقِ أسْعُدا[٣]**

ترى قرطها مستهلكا * بنَفْنَفِهِ من واضح اللَّيتِ أجْيَدَا[٤]**

يَبدو لك الخَيرُ فيه حينَ تَنْظُرُهُ * كما بَدا في ثَنايا الكاعِبِ الشّنبُ[٥]**

نُصباً لِعَينك لا تَرَى حَسَناً * إلا ذَكَرْتَ به لها شَبَهَا[٦]**

في الأبيات السابقة يستمر الشاعر بالأسلوب نفسه فيقول : (تبصرها – تريكَ– ترى– تنظره– ترى) بدلاً من (أبصرها–تريني–أرى–أنظره) وهذا موافق لقول ربيعة بن مقروم:

بانتْ سعادُ فأمسى القلبُ معمودا * وأخلفتكَ ابنةُ الحُرّ المواعيدا**

فالتفتَ حيث لم يقل " أخلفتني".[٧]

---

(١) اجتهادات لغوية، تمام حسان، ص ٢٢٦.

(٢) الديوان ١٦٧/٣.

(٣) الديوان ٣٠/٣.

(٤) الديوان ٣١/٣.

(٥) الديوان ٢٣٣/١.

(٦) الديوان ٢٢٤/٤.

(٧) أساليب بلاغية، د.أحمد مطلوب، ص٢٧٢.

للالتفات أغراض بلاغية مختلفة منها على سبيل المثال: تعظيم شأن المخاطب، التنبيه، المبالغة، الاختصاص، الاهتمام، التوبيخ(١). أما بشار بن برد فأضاف لها التنصّل والغموض.

جـ- الفاعل ضمير مستتر:

يأتي الضمير المستتر فاعلاً لأفعال الرؤية البصرية في أبيات منها:

تَفْرحُ العينُ أن تَرى * عَبدَ قَيْسٍ وأَسْعَدَا(٢)**

كأنّما أَقْسَمتْ عَيني تُسالِمُهُ * حتى تَرى أَحورَ الْعَينينِ في الْجَادِي(٣)**

الضمير المستتر أقل تعريفاً من سابقيه –المتكلم والمخاطب– لأنه يكتسب التعريف بسبب مرجعه فلابد من مرجع كي يفهم معناه، يلاحظ أن الشاعر جعل مرجعية الضمير غالباً للعين وكأنه عضو له استقلالية فبدلاً من أن يقول: رأيتُ يقول: رأتْ عيني، ثم يقدّم ما هو فاعل في المعنى ليعود عليه الضمير، فجمع بين أمرين؛ إسناد الفعل للعين وتقديم العين ليعود الضمير عليها.

وفي قوله:

كأنَّ عَيني تَراها في مجَاسِدِها * إذا رَأَيْت رُسومَ الدارِ والنّادِي(٤)**

يكرر صورة الفاعل في الشطر الأول وهي الإتيان بالفاعل ضميراً مستتراً عائداً على العين، أما في الشطر الثاني فإنّه يسند "الرؤية البصرية" لنفسه مباشرة "رأيتُ" لكن بقراءة البيت كاملاً يلاحظ أن الشطر الأوّل يمثّل جواباً لفعل الشرط في الشطر الثاني من حيث المعنى لا من حيث الإعراب، فتكون الجملة: إذا رأيتُ

(١) أساليب بلاغية، أحمد مطلوب ص٢٧٧.

(٢) الديوان ٢١١/١.

(٣) الديوان ٣١٧/٢.

(٤) الديوان ٣١٩/٢.

رسوم...كأنّ عيني تراها، فهو يشبّه محبوبته وهي في المجسد، وهو ثوب كالقميص تلبسه المرأة.

ثالثاً: المفعول به:

المفعول به وهو الفضلة الذي وقع عليه فعل الفاعل، تنوعت صوره في جملة فعل الرؤية البصرية على الشكل الآتي:

أ–المفعول به ضمير متصل للغائب:

تصدّرت هذه الصورة صور المفعول به وهي صورة الضمير المتصل للغائب دون أن يكون له عائد، وجاءت في معظمها بغرض الغزل ووصف المحبوبة، وقد يكون اختياره لهذا الأسلوب الذي يغلب عليه الغموض وعدم الوضوح تماشياً مع طبيعة المجتمع العربي الذي يرفض هذا النوع من العلاقات ويحاربه، لكن وجود ثنائيات ذاع صيتها من مثل: عنترة وعبلة قيس وليلى وقيس ولبنى وكثيّر عزة وجميل بثينة، وهو ما عُرف بالحب العذري في العصر الجاهلي والأموي وهي عصور سبقت عصر الشاعر، بالإضافة إلى شخصية الشاعر التي اتسمت بالجرأة، بل تجاوزتها إلى حد المجون، يثير شكوكاً عن السبب الذي منع الشاعر من التصريح باسم المحبوبة أو الإشارة له بصورة أكثر وضوحاً، لذا يكون استعمال الضمير على هذه الصورة –وهو الأقرب–استغلالاً لهذا الغموض ليتوافق وفقده لبصره، "الضمير بحاجة إلى ظاهرٍ يعود إليه ويعيّن مدلوله إذا كان المراد رفع اللبس، ولكنْ إذا ما توسّعنا في هذا المراد فقررنّا بدفع اللبس مراداً آخر للكلام وهو التلبيس والإبهام في بعض المقامات، لم يعد لذكر الظاهر حاجة أصلاً، وكان الضمير عندئذٍ أصلاً لا نائباً عن الظاهر[1]. بعبارة أخرى يذكر ابن المنير الإسكندري: "أن الأصل في الضمائر الإظهار ثم الإضمار، ويليه لقصد التفخيم:

(١) حسين بوعباس، تعاقب الظاهر والضمير، ص٦٢ ٦٨ العدد(١)يناير ٢٠٠٨م.

الإظهار بعد الإظهار، ويليه وهو أفخم الثلاثة: الإظهار بعد الإضمار"[١]. إذن لو قسنا على الكلام السابق سيكون الأصل الإظهار ثم الإضمار وقد خالف الشاعر هذا الأصل ليكشف عن غاية نفسية تحقق له السلامة من الاتهام بعدم الصدق، يقول ابن درستويه: "إنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني"[٢]، وهذا الأسلوب وإن لم يكن مما يوقع اللبس في المعنى ولكنه يوقع اللبس في تحديد الشخصية المقصودة بهذا الوصف، يقول بشار بن برد:

كأنّ عَيْني تَرَاها في مجاسِدِها * إذا رأيت رُسومَ الدَّارِ والنّادي**[٣]

شغلت نفسي عن وصف الهوى باشتياقي أن أراها وطرب [٤]

فها هو يصف محبوبته بهاء الغائب والتي قد تكون حاضرة في ذهن الشاعر لكنها غير حاضرة في ذهن المتلقي، يقول سيبويه: "إنما يُضمِر إذا علم أنك قد عرفت من يعني"، والضمير هنا لا ينص على شخصية محددة باسم معين، لذا فالمتلقي لا يعلم من المقصود، وهذا فيه تلبيس مكّن الشاعر من إضفاء الصفات الجمالية على محبوبته بحرية تامة مستغلاً إياه[٥]. يقول تمام حسّان: تحقيق أمن اللبس هو الغاية القصوى للاستعمال اللغوي، لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم [٦]. ويبدو أن بشار بن برد أضاف تصوراً آخر للبس ليس على مستوى المعنى، فالمعنى مفهوم وقد أجاد الشاعر فيه لكنه قصد عدم وضوح الموصوف.

---

(١) الانصاف فيما تضمنه الكشاف، ابن المنير الإسكندري ٤٤٩/٣.

(٢) المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبدالعال سالم مكرم، ص١٢.

(٣) الديوان ٣١٩/٢.

(٤) الديوان ٣٤٩/١.

(٥) اللبس: اختلاط الأمر واشتباهه وإشكاله.

(٦) اللغة العربية مبناها ومعناها، تمام حسان، ص ٢٣٣.

ب–المفعول به نكرة:

النكرة: كل اسم عم اثنين فما زاد فهو نكرة من أجل أنك لا تعرف به واحداً بعينه إذا ذكر.(١) وهي خلاف المعرفة، وعرّفها ابن جني: "النكرة ما لم تخص الواحد من جنسه، نحو: رجل، وغلام.(٢)

وكون أن النكرة اسم شائع في جنسه لا يختصّ به واحد دون الآخر، لذا كانت النكرة مناسبةً لمن أراد الاستفادة من مساحة الحرية المتوفرة في هذا النوع من الاسماء، فنجد بشار بن برد قد استغل هذه الميزة في أبيات منها:

أرقب البدر كي أرى * وجه بدر متوج(٣)**

أثبت الرؤية (كي أرى) لكنه استعان بمفعول به نكرة يعينه على إنكار الرؤية.

لله دري لا أرى عاشقاً * إلا جرى دمعي وطال انتِحابْ (٤)**

جاءت "عاشقاً" نكرة وهي ما وقعت عليها الرؤية لتكون عامة غير مخصوصة بعاشق بعينه.

وأيضا في قوله:

حتى إذا بعث الأذين فراقنا * ورأيتُ من وجه الصباح خدودا(٥)**

رأيت لها على الروحاء طيفاً * ورؤية من يحبّ عليه صلح(٦)**

(١) الأصول في النحو، ابن السراج.
(٢) اللمع في العربية ص ١٥٨ .
(٣) الديوان ٧٣/٢.
(٤) الديوان ٢٧٥/١.
(٥) جعل للصبا خدوداً تخييلاً، لأنهم يقولون: وجه الصباح ووجه النهار وغرة الصباح.الديوان ٣٣٠/٢.
(٦) الديوان ١٤٨/٢.

ج–المفعول به ضمير متصل يعود على نكرة:

من صور المفعول به التي أوردها الشاعر، وقد جمعت بين الصورتين السابقتين وهما: المفعول به ضمير والمفعول به نكرة، في قوله:

يا مَنْظَراً حَسَناً رَأَيْتُهْ * من وَجْهِ جارِيةٍ فَدَيْتُهْ**(١)

فعاد الضمير المتصل: (الهاء) في رأيته على (منظراً) وهو نكرة.

وفي قوله:

ولقد أقول لغافلين رأيتهم * بقفا المسالِحِ يقسمون قصيدا**(٢)

عاد الضمير المتصل (هم) في (رأيتهم) على النكرة (غافلين).

لذا ظلت الرؤية مبهمة لأنها وجّهت لنكرة غير معيّن، فإن أقرّ بالرؤية إلا أنه نكّر المرئي. يقول ابن يعيش: في معرض حديثه عن المعرفة: وذهب آخرون – الكوفيون وأبوسعيد السيرافي– إلى أنّ المضمر يصلح لكل مذكور فلا يخص شيئا بعينه، وقد يكون المذكور قبله نكرة فيكون نكرة أيضاً على حسب ما يرجع إليه (٣).

ج–حذف المفعول به:

المفعول به فضلة يجوز أن يحذف إلا في مسائل حددها علماء اللغة منها: أن يكون نائبا عن الفاعل، أن يكون متعجباً منه، أن يكون محصوراً ...إلخ.(٤) ويكون الحذف لدليل عليه حتى لا يؤدي الحذف للبس، وله أغراض مختلفة منها: الإيجاز، كثرة الاستعمال، صيانة المحذوف عن الذكر تشريفاً، تحقير شأن

(١) الديوان ٤٢/٢.

(٢) الديوان ٣٣٧/٢.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش ٨٧/٥.

(٤) همع الهوامع، السيوطي ١٢/٣.

المحذوف[١]. نحو: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[٢]، أي لما يريده.[٣]وظّف بشار بن برد هذه الصورة وإن كان ورودها نادراً فقد اقتصر على بيتين في قوله:

فلما التقينا ضِقْتُ ذَرعاً بما أرى * وأَلقى عليها مَعْشقي شُبُهاتي** [٤]

حذف المفعول به (أراه) ومعنى البيت أن الشاعر حين التقى محبوبته رأى جمالا يعجب منه الرائي فضاق ذرعه ولم يقدر على تحقيق مرآه.

وقالوا: قد تَعرّضَ كي يَراها * وماذا ضَرّهُم مما رَأَيْتُ؟**[٥]

أي مما رأيتُه، والحذف وإن كان بالإمكان تقديره بالضمير، إلا أنّ الشاعر احتفظ لنفسه بعدم التصريح بما رآه؛ لأنه لم يحدث فعلياً وهذا غرض أضافه بشار بن برد لأغراض الحذف. وقد يكون لهذا الحذف سبب عروضي إلا أنه مازال وسيلة قد استعان بها الشاعر بذكاء.

المحور الثالث: الأفعال البصرية في الجملة المنفية:

تدور كلمة "نفي" حول معنى الابتعاد؛ نَفى الشيء ينفي نفيا: تنحى، ونفيته أنا نفيا... يقال: نفيت الرجل وغيره أنفيه نفيا إذا طردته ونفى الشيء نفيا: جحده. فالكلمة تشير إلى فعل أو رأي يتم فيه نقل شيء من موقع الإمكان والوجود إلى موقع العدم والغياب"[٦] وهو ضد الإيجاب، وأهل المنطق يسمونه السلب.[٧]

(١) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة.
(٢) هود ١٠٧.
(٣) همع الهوامع ص ١٤.
(٤) الديوان ٤٢/٢.
(٥) الديوان ٥/٢.
(٦) ابن منظور لسان العرب.
(٧) المخصص ، ابن سيده ٢٤٨/٤ .

والنفي اللغوي لا يكون عادةً إلا بأداة تشعر بهذا النفي، سواء أكانت هذه الأداة صريحة في النفي، مثل: لا، وما، وإن.. أم كانت ضامنة له، نحو: ليت والهمزة ولو في بعض أساليب التمني والاستفهام الإنكاري والشرط.(١)

اقتصر بشار على حرفي النفي (لا) و (لم) بدخولهما على فعل الرؤية البصرية، كان الأكثر دخول (لم) تليها (لا). أما (لم) كما يقول سيبويه: هو لنفي "فعل" يريد أنه موضوع لنفي الماضي فإذا قال القائل: قام زيد، كان نفيه: لم يقم، وهو يدخل على لفظ المضارع ومعناه الماضي ... دخلت على لفظ المضارع ونقلت معناه إلى الماضي وهو الأظهر، لأن الغالب في الحروف تغيير المعاني لا الألفاظ نفسها فقالوا: قلبت معناه إلى الماضي منفياً، ولذلك يصح اقتران الزمان الماضي به فتقول: لم يقم زيد أمس، كما تقول: ما قام زيد أمس"(٢)

وفي مقارنة بين (لم) و(لما) يقول ابن هشام: أن منفي لما متوقع ثبوته، بخلاف منفي (لم)(٣)، وهذا ما يتوافق وعدم قدرة الشاعر على الرؤية كما في قوله:

فلم تَرَ عَيني مِثلَ عَيشٍ سَرَقْتُهُ * ولا مِثلَ حُسّادي على السّرِقاتِ**(٤)

فلمْ تَرَ عَيْني مِثْلَهَا يَوْمَ عُطِّلَتْ * سِوى حَلْيِ خَلْخالٍ وَقُرْطٍ وَمِعْضَدِ** (٥)

لم تر العين لعين فتنة * مِثْلَها بين جُمادى ورَجَبْ**(٦)

(١) أساليب النفي في العربية، دراسة وصفية تاريخية، د.مصطفى النحاس، ص٦.

(٢) ابن يعيش شرح المفصل ٣٥/٥.

(٣) مغني اللبيب، ابن هشام، ٢٧٩/١.

(٤) الديوان ٤٣/٢.

(٥) الديوان ٤٣/٢.

(٦) الديوان ٣٥٠/١.

جنية الحسن لا بل في مجاسدها * ما لم تر العين بين الجن والشر**[١]

فلم تَرَ عَيْني مِثْلَ سُعْدى مُباعِداً * ولا مِثْلَ ما يلقى أخوكَ يُعابُ**[٢]

وأيضا في قوله:

نظرت بحَوْضَى هل أراكِ؟ فلم أُصِبْ * بِعيْني سِوى الجَرعاء والأَبْلَقِ الفَرْدِ** [٣]

في البيت السابق وردت (نظر) بمعنى (رأى) البصرية، فبعد أن أثبت الرؤية البصرية في البيت الأول (نظرتُ...) أورد بعدها نفي تحقق الرؤية (فلم أصب).

يوظّف بشار أسلوب النفي يقوله:

غَزَالَةٌ غَصَبَتْ لَيْثاً بِمُقْلَتِها * لم أرَ كَاليوْمِ مَغْصوباً ومُغْتَصِبَا**[٤]

جاء النفي بـ(لم) بدخولها على الفعل (ترى) وبإسناد الرؤية لـ(العين) ولـ(عيني) ولم يقل (لم أرَ).

وقد استعان بشار بن برد بهذه الصيغة لتكون قارب نجاة له حين يُدخِلها على فعل الرؤية البصرية، وكأنه أمسك العصا من المنتصف أوصل لمحبوبته أنه لم ير أحداً بجمالها أو من يشبهها مبالغةً، ومن جهة أخرى جعله كخط رجعة للمشككين ليتنصّل من الرؤية الفعلية، وهذا ما ينص عليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "النفي يقتضي منفياً ومنفياً عنه، فإذا قلت: ما ضرب زيد، ما زيد ضارب، فقد نفيت الضرب عن زيد وأخرجته عن أن يكون فعلاً له، فلما كان الأمر كذلك احتيج إلى شيئين يتعلق الإثبات والنفي بهما فيكون أحدهما مثبتاً والآخر مثبتاً له،

---

(١) الديوان ٢٤٦/٣.

(٢) الديوان ٢٢٥/١.

(٣) حوضى: اسم مكان، الجَرعاء: الأرض الرملية، الأَبْلَقِ الفَرْدِ: حصن للسموأل.الديوان ٣١٢/٢.

(٤) الديوان ٣٥٦/١.

وكذلك يكون أحدهما منفياً والآخر منفياً عنه، فكان ذانك الشيئان المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، وقيل للمثبت وللمنفي حسنة وحديث، وللمثبت له وللمنفي عنه مسند إليه ومحدث عنه. وإذا رمت الفائدة أن تحصل بك من الاسم الواحد أو الفعل وحده صرت كأنك تطلب أن يكون الشيء الواحد مثبتاً له، ومنفياً عنه وذلك محال(١).

أما (لا) هي تنفي عند دخولها على الجملة الفعلية الفعلين: الفعل المضارع والفعل الماضي دون أن تكون عاملة فيهما سوى النفي يقول ابن يعيش في شرحه "وأما "لا" فحرف نافٍ أيضاً موضوع لنفي المستقبل، قال سيبويه: وإذا قال: هو يفعل، ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه لا يفعل فـ "لا" جواب هو يفعل، إذا أريد به المستقبل، فإذا قال القائل: يقوم زيد غداً، وأريد نفيه قيل: لا يقوم، لأن "لا" حرف موضوع لنفي المستقبل وكذلك إذا قال: ليفعلن، وأريد النفي قيل: لا يفعل، لأن النون تصرف الفعل للاستقبال، وربما نفوا بها الماضي نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾(٢) أي لم يصدق ولم يصل... حملوا "لا" في ذلك على "لم" إلا أنهم لم يغيروا لفظ الفعل بعد "لا" كما غيروه بعد "لم"؛ لأن "لا" غير عاملة و"لم "عاملة ولذلك غيروا لفظ الفعل إلى المضارع ليظهر فيه أثر العمل.(٣)

وعليه فقول بشار: لا أرى النجم، ولا أرى نجمة جاءت لنفي الرؤية في المستقبل، وكأنه حصر عدم الرؤية في زمن الاستقبال، وهذا أسلوب يتشارك فيه المبصرون وغير المبصرين، إلا أنّ النفي بالنسبة لبشار هو نفي يشمل الحاضر والمستقبل.

---

(١) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني ص ٣٧.

(٢) سورة القيامة ٣١.

(٣) "ابن يعيش شرح المفصل ص ٣٣.

جاء في "المغني" ويتخلص المضارع بها للاستقبال عند الأكثرين وخالفهم ابن مالك لصحة قولك: جاء زيد لا يتكلم، بالاتفاق مع الاتفاق على أن الجملة الحالية لا تصدر بدليل استقبال.(١)

ويقول في موضع آخر بالاستعانة بالنفي بـ(لا):

اِسْقِني ثم غَنِّنِي * لا أَرى النَّجمَ عَرَّدَا(٢)**

لا أَرى ضَوءَهُ يَبوخُ ولا يَخْمَدُ * إلا عن عَامِلٍ مُسْتَطيرِ(٣)**

كأنك لا ترى حسنا سواها(٤)

وولوع الخيال بي من صديقٍ * لا أراهُ حتى يشيبَ الغراب(٥)**

في هذا البيت بالإضافة إلى نفي الرؤية (لا أراه) ذكر : "حتى يشيب الغراب"، والغراب لا يشيب وهذا مثل لاستحالة وقوع الأمر؛ أي الرؤية.

(١) "ابن هشام مغني اللبيب ٢٦١/١.
(٢) الديوان ٢٠٠/٢.
(٣) الديوان ٢١٣/٣.
(٤) الديوان ١٦٥/١.
(٥) الديوان ٣٣٣/١.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، صلاة وسلامًا على من اصطفى محمد بن عبدالله خير من نطق بالعربية فكان أفصح العرب بيد أنه من قريش، وصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. أما بعد

فإن هذه الدراسة قد تناولت "الأفعال البصرية في شعر بشار بن برد: دراسة نحوية دلالية" ونتج عن هذا التناول النتائج الآتية:

١- أن بشار بن برد كان يتوخ الحذر حين استعماله لأفعال الرؤية بمعناها البصري وكان واعيًا بدلالتها شعوريًّا وعى المبصرين بها؛ رغم فقده لحاسة البصر، وهذا يدل على ذكائه اللغوي والفطرى ووعيه بالقاموس الدلالى للغة العربية.

٢- رغم كثرة دوران أفعال الرؤية البصرية فإن الشاعر أوردها غالبًا لغرض الغزل، ونادراً ما كان يوظفها في الهجاء أو المدح، خاصة مدح من ينتظر منهم عطاءً، وكأنه يشير إلى درجة الصدق المطلوبة في هذه الأغراض الشعرية حتى لا يعرّض نفسه للسخرية أو الحرمان لو ذكر وصفاً غير حقيقيٍّ عن الممدوح أو المهجو، وهذا ما أيّدته حادثة الهجاء بينه وحمّاد عجرد حين عيّره قائلا:

ويا أقبح من قرد * إذا ما عمي القرد**

ويقال إنه لم يجزع بشار بشيء قط جزعه من هذا البيت، وقال إنه لا يستطيع أن يهجوه بذكر صفات جسدية ليست فيه.(١)

---

(١) البيان والتبيين ١/٣٠.

٣– للفعل (رأى) بمعناه القلبي ألفاظ أخرى كان يمكن أن تحلّ محله في بعض الأبيات دون أن تؤثر في تفعيلات البيت ووزنه العروضى، إلا أن بشارًا اختار لفظ (رأى)؛ ليثبت للجميع قدرته على دقة التصور والتخيل، وأنه ليس بعاجز عن أن يأتي بمثل ما يرون، وقد يكون لهذا الاختيار سبب نفسي، لكي لا يشعر بالنقص أو بالضعف.

٤– أن الشاعر يشارك غيره من شعراء عصره أو من سبقوه برؤى تمثّل موروثا يُتناقل فيما بينهم، وكأنها تقاليد لا يجوز لشاعر الخروج عنها، فمثلا قد تكون مقاييس الجمال للمرأة واحدة، كجمال العيون وطول الشعر وسواده، ومقاييس الجمال الجسدية، وكأن هناك اتفاقًا على هذه المقاييس فيما بينهم، بل كأنهم يصفون امرأة واحدة، فلا نكاد نضع أيدينا على اختلاف في هذه الصفات بين المبصرين، فلا غرو أن نجدها تتكرر عند فاقدي البصر، فهناك نسبة كبيرة من التقليد بين الشعراء، وأن "اللغة ليست أكثر من أداة للتعبير عن المعاني والخواطر والخوالج، وإن المرء يتلقاها عن الجماعة التي هو فيها ويتلقى مع اللغة قوالبها وتشبيهاتها واستعاراتها وأسلوبها والتشبيه ووجهتها في الاستعارة ودلالات الألفاظ مفردة ومركبة، وترتسم في ذهنه– بطريقة ما– الصور التي تستفاد من هذا التأليف ولا يمنعه العمى أن يقيد الصور والمعاني المتداولة التي يمكن تمثلها.[١] مما يدل على ذلك ما ذكره بشار بن برد حينما سئل عن جودة وصفه لحالة الحرب وشدة الصراع بين المتحاربين في قوله:

كأنَّ مُثارَ النّقعِ فَوقَ رُؤوسِهِم * وأَسْيافَنا ليلٌ تَهاوى كَواكِبُه**[٢]

---

(١) بشار بن برد /المازني ٢٧.

(٢) الأغاني، الأصفهاني ١٠٤٢/٣ رويت رؤوسنا ، والديوان ٣١٨/١ .

أجاب بقوله: "ما قرّ بي القرار مذ سمعتُ قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العنّاب والحشف البالي**

حتى صنعتُ: كأن مثار النقع.

٥- في بعض المواضع ذكر بشار بن برد فعل الرؤية مسنداً له مباشرة دون أن يورد ما يشكك في الرؤية كما في قوله:

يا ليتني لم أنمْ شَوقاً وتَسْهادَا * حتى رأيتُ بياضَ الصُّبحِ قد عادَا**(١)

وفي قوله: كَبَّرْتُ لما رَأَيْتُ الصُّبحَ مُنْبَلِجاً *** يَحدو تَوالى جَوْنٍ بانَ أو كادَا(٢)

إلا أن هذه المواضع كانت متعلقة بالصبح والنور و بالليل والظلمة وهذه أوقات يمكن الإحساس بها بربطها بالحركة والهدوء، لذا جاء إسنادها لنفسه مباشرة.

وأيضا في قوله:

نَظَرتْ عيني لِحَيني * نَظَراً وافَقَ شَيْني**

سَتَرتْ لمّا رَأتْني * دونَه بالراحتين**

فَبَدتْ منه فُضُول * لن تُوارى باليدينِ**

فانثنتْ حتى توارى * بين طي العُكنتين**

فَتَمنيتُ وقَلبي * لِلهوى في زفرتين**

أنّني كُنتُ عليه * ساعةً أو ساعتينِ**(٣)

ذُكرت مناسبة الأبيات في الأغاني أن المهدي وقع نظره على جارية تغتسل، فلما رأته وضعت يدها على عورتها، فقال المهدي: "نظرت عيني لحيني" ثم أُرتِج عليه، فقال من بالباب من الشعراء؟ قالوا: بشار، فأذن له فدخل، فقال له:

(١) الديوان ٣/٩٨.
(٢) الديوان ٣/٩٨.
(٣) الديوان ٤/٢٠٥.

أجز "نظرتْ عيني لحيني" فقال بشار هذه الأبيات ارتجالًا، فقال المهدي: والله ما أنت إلاّ ساحر، ولولا أنك أعمى لضربت عنقك".[١]

فكون الشاعر يتحدث بلسان المهدي وهو صاحب الشطر الأول لذا جاء الفعل (نظر) للرؤية البصرية مثبتاً؛ لأنه وقع فعلاً منسوباً للمهدي.

٦- يتفاوت انتشار جملة فعل الرؤية البصرية من صورة إلى أخرى، فمثلا كان شائعاً ورود المفعول به ضميرا متصلا للغائب دون أن يكون له عائد، مقارنة بحذف المفعول به ، إلا أن بشار بن برد فيما يبدو لم يترك وسيلة إلا استعان بها ليدخل الغموض على المرئي ليجنّب نفسه المساءلة. والوسائل التي استعان بها بشار في جملة فعل الرؤية البصرية في معظمها ليست بجديدة فهي مشتركة بين الشعراء المبصر وغير المبصر، إلا أنها تكتسب تفرداً لانتشارها الواسع في نصوصه ولغرضها البلاغي الذي يناسب حال الشاعر.

٧- في أفعال الرؤية القلبية أسند الشاعر الأفعال لنفسه مباشرة؛ لأن معناها (علم) ومنها:

أرى سقمي يزداد من أم مالك[٢]

رأيتُ الصبر عن وجهك لا يكفي وقد رُمتُه[٣]

جمع في بيت واحد ثلاثة ألفاظ جاءت على المعنيين البصري والقلبي :

قم خليلي فانظر أراك بصيراً * هل ترى الرسيس ذي النخل عيرا**[٤]

(١) انظر: طبقات الشعراء، ابن المعتز ١ / ٢٤ ، الأغاني الأصفهاني ٦٤/٣.

(٢) الديوان ٣٩/٢.

(٣) الديوان ١٥/٢.

(٤) الديوان ٢٣٢/٣.

وبعد فهذا جهدي في دراسة "الأفعال البصرية في شعر بشار بن برد: دراسة نحوية دلالية" . والله تعالى أسأل أن أكون قد وفقت في عرض وتحليل هذه الظاهرة.

(إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ).

**

قائمة المصادر والمراجع

- الأغاني، الأصفهاني تحقيق: إبراهيم الإبياري مطابع مؤسسة دار الشعب– القاهرة ١٩٦٩ .
- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، ابن المنير الإسكندري المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٦.
- أساليب النفي في اللغة العربية، مصطفى النحاس، مؤسسة علي جراح الصباح للنشر والتوزيع، ١٩٧٩م.
- أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط أولى، ١٩٨٠م.
- الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: د.عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط ثانية، ١٩٨٧م.
- اجتهادات لغوية، تمام حسان، عالم الكتب، ط أولى، ٢٠٠٧م.
- بشار بن برد، إبراهيم المازني مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٠، مصر.
- البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط سابعة ، ١٩٩٨.
- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د.فخر الدين قباوه، أ.محمد نديم فاضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ثانية ١٩٨٣م.
- حسين بوعباس، تعاقب الظاهر والضمير، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد ٦٨ العدد(١) يناير ٢٠٠٨م.

- الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
- دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبوفهر محمد ومحمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ديوان بشار بن برد، محمد الطاهر ابن عاشور، علق عليه : محمد رفعت فتح الله و محمد شوقي أمين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٠.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
- شرح اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط ثانية، بيروت، ١٩٨٥م.
- شرح المفصل، ابن يعيش، يعيش بن علي، تحقيق د.إبراهيم عبدالله، دار سعد الدين، دمشق٢٠١٣م .
- طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط ثالثة ، دار المعارف، القاهرة.
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر حمودة، طبع ونشر وتوزيع: الدار الجامعية، الإسكندرية.
- العمدة /ابن رشيق القيرواني حققه الدكتور/النبوي عبدالواحد شعلان، مكتبة الخانجي/القاهرة، ط١، ٢٠٠٠.
- في الشعر العباسي، نحو منهج جديد د.يوسف خليف دار غريب القاهرة.
- قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية.

- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، الخانجي، القاهرة، ط ثالثة، ١٩٨٨م.
- الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي ، حققه: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة –بيروت ١٩٩٨م.
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة.
- اللغة العربية مبناها ومعناها، تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط ثالثة، ١٩٩٨م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، قدمه وعلق عليه د.أحمد الحوفي، د.بدوي طبانه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- المخصص، ابن سيده، بيروت المكتب التجاري للطباعة.
- المشترك اللفظي في الحقل البلاغي، عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ثانية.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مصر، طبعة منقحة، ١٩٨٩م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي.مؤسسة الرسالة ودار الفرقان، بيروت، ط ثانية، ١٩٨٦.
- مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح د.عبداللطيف الخطيب، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ط أولى، ٢٠٠٠.
- المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د.إميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية ط أولى، بيروت، ١٩٩٩.
- همع الهوامع، للسيوطي، تحقيق وشرح: د. عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م.

* * *